فاعلية الصورة الملونة في تعليم أصوات اللغة العربية لدى تلاميذ السنة الأولى ابتدائي

The Effectiveness of Color Image in Teaching Arabic Voices to First Year Students

تاريخ الإرسال: 10-11-2018 تاريخ القبول: 02-12-2018

الدكتور فتوح محمود

Mahmoud.fettouh@gmail.com

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

الملخص:

يعالج هذا البحث دور الصورة في تعليم نطق أصوات اللغة العربية لدى تلاميذ السنة الأولى ابتدائي وفق الكتاب المقرر عليهم في برنامجهم التعليمي، وهو كتابي في اللغة العربية، وعرج على تعريف الصورة التعليمية، ودور الطرائق الصوتية في تعليم الحروف العربية ونجاعة الصورة الملونة في التعليم، ثم وضح أثرها في تصويب تشابه الحروف وتداخلها، وبَيَّنَ مدى نجاحها في تصحيح أصوات اللهجة المحلية، وذلك من خلال العمل الميداني الذي أقيم في قسم من أقسام المدرسة الابتدائية، وكانت نتائج الدراسة الإحصائية توضح حصيلة الانحرافات الصوتية في نطق الأصوات العربية، وأثبتت الصورة الملونة نجاعتها في رد الاعتبار للحرف المنطوق، فكانت الوسيلة المثلى للتعليم في هذه المرحلة.

الكلمات المفتاحية: الصورة الملونة، التعليم، الأصوات، اللغة العربية، المرحلة الابتدائية.

Résumé:

Cette recherche porte sur le rôle de l'image dans l'enseignement de la prononciation des phonèmes de la langue arabe chez les élèves de première année primaire, conformément au manuel scolaire de leur programme éducatif, intitulé « mon livre en langue arabe », et elle porte aussi sur le rôle des méthodes vocales dans l'enseignement des lettres arabes et de l'importance de l'image couleur dans l'éducation. Ensuite, elle a montré leur impact dans la correction de la similarité des caractères et de leur chevauchement, ainsi que l'étendue de son succès dans la correction des voix du dialecte local, et ceci, à travers le travail de terrain effectué dans une section de l'école primaire. Les résultats de l'étude statistique ont montré les altérations phoniques de la prononciation des phonèmes arabes, et l'image en couleur a prouvé ses effets dans la bonne prononciation des phonèmes, et c'était le meilleur outil éducatif.

Mots clés : Image couleur, éducation, voix, langue arabe, cycle primaire.

مقدمة:

تعدّ القراءة من أهم الوسائل في تنمية الذاكرة البشرية والتعرف على ثمار الحضارة الإنسانية في شتى فروع المعرفة، وقد كان لها شأن عظيم منذ القدم بالاهتمام والتعلم، وقد كتب على باب أول مكتبة مصرية في عهد الفراعنة مقولة تمجدها: "هنا غذاء النفوس وطب العقول"، لأنها تساعد الفرد على التقدم في التحصيل العلمي ومسايرة الواقع المعاش ومستجداته.

وإن التعلم لا ينشأ إلا من خلال الخبرات التي يتلقاها الإنسان عبر عدة وسائط، منها السمع والبصر والأفئدة التي مكانها العقل، وقد قال الله تعالى في محكم تنزيله:﴿وَٱللَّهُ أَخرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُم لَا تَعلَمُونَ شَيئًا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمعَ وَٱلأَبصَٰرَ وَٱلأَفئِدَةَ لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ ٧٨﴾[1]، وكلها مستلزمات يتطلب حضورها في التعليم.

وتتعدد الوسائل التعليمية والرسائل المعرفية والثقافية في العملية التعليمة لدى الطفل في المرحلة الابتدائية من تعليمهم، ويعدّ الكتاب المدرسي الوسيلة المثلى والأداة المهمة في تعليم هذه الشريحة من المجتمع، لأن الكتاب يحتوي على أفكار ومعلومات تساعدهم على تنمية قدراتهم العقلية وملكاتهم اللغوية، فالطفل في هذه المرحلة يتسم خياله بالقوة، لأنه في

مرحلة خاصة تمتاز بالسرعة والازدياد في النمو العقلي، لذلك يرتفع مستوى الإدراك الحسي لديهم ويصبحوا أكثر دقة[2] في تسجيل المعلومات وترسيخها في الذاكرة، وقد اهتمت الوزارة الوصية للتعليم بالبرامج التعليمية في صناعة الكتاب وتأليف مواده بإدماج أحدث الوسائل، وكان الاهتمام بالصورة بمختلف أنواعها الهدف الأسمى والأنجع في إيصال المعلومة للأطفال، لأن الصورة لغة عالمية، وصورة واحدة أكثر قدرة في التعبير عن ألف كلمة[3].

والطفل في هذه المرحلة لا يمكن أن يستغني عن الصورة الملونة، باعتبارها تحمل رموزا مصورة للدلالة على مسمياتها في شكل واضح يجلب انتباهه، فهي تساعده على التعليم، لأنها تحاكي الواقع المعاش، وقد أثبتت العديد من التجارب أنها تساعد في فهم الكلمات وتكوين الجمل بلغة عالمية يفهمها المتعلمون جميعا بغض النظر عن مستواهم التعليمي والثقافي، لذلك عدّت الصورة الملونة "أداة فعالة في التعليم، كما تفيد في توضيح المادة المكتوبة، ولا تؤدي الصور الغرض منها إذا كانت غير مرتبة بغرض تعليمي، أو غير واضحة أو صغيرة جدا ليس بها ذوق"[4]، ولذا عدّ لونها مهم في التعليم؛ لأنه يجلب الانتباه وحجمها يزيد في تقريب الحرف وتثبيته، وإذا تحققت هذه الأمور أدت الدور المهم والفعال في حقل العملية التعليمية، لأنها "تنشط عمليات الانتباه والإدراك والتذكر والتصور والتخيل، وهي العمليات المهمة أيضا في التعلم والتعليم، وأن العامل الحاسم هو الطريقة التي تقدم الصور من خلالها، وكذلك طرائق التعرض اليومية لهذه الصور وأساليب توظيفها بطرائق إيجابية أو سلبية"[5].

أولا: تعريف المصطلحات التالية:

1. **الصورة:** عرفها fuliginosite بأنها "كل تقليد تمثيلي مجسد أو تعبير بصري، فهي معطى حسي للعضو البصري"[6]. و**الصورة التعليمية:** هي الصورة التي تحمل رموزا وإيحاءات متعددة تهدف إلى التعبير عن حالة معينة بغية إيصال المعلومة للمتلقي بأقل وقت وأقصر جهد وأقوى بلاغة وتعبير ودلالة عن الكلام المنطوق.

وإذا كانت **الصورة التعليمية** وسيلة مساعدة على تحسين عملية التحصيل المعرفي في مراحل عمرية مختلفة للطفل، باعتبارها تأخذ بيده إلى القراءة والكتابة، وتكوّن في نفسيته السعادة والمتعة، فإن **اللون** يأتي ليشجع عملية التواصل البصري ويغوص به إلى عالمه الحسي، وقد "أظهرت أبحاث نفسية متعددة أنه ومنذ نعومة الأظفار يتابع الطفل ببصره وباهتمام الأشياء المتعددة الألوان في الوقت الذي يعطي فيه اهتماما أقل للأشياء الأحادية اللون"[7]، وهنا نفهم أن الصورة التعليمية بالألوان لها دور مهم في جلب انتباه الأطفال وزيادة تركيزهم على المادة العلمية المتعلمة وتخزينها في الذاكرة البصرية.

2. **التعليم:** هي "عملية توصيل المعرفة إلى المتعلم، كما تعني خلق الدوافع وإيجاد الرغبة لدى المتعلم للبحث والتنقيب، والعمل للوصول إلى المعرفة، وهذا يحتم وجود طريقة وأسلوب"[8]، ومعنى **تعليم أصوات** اللغة العربية: هي الطريقة المتبعة في نطق أصوات الحروف العربية المتشابهة في النطق والمختلفة في الرسم الكتابي .

ثانيا: دور الصورة الملونة في التدرج الصوتي لتعليم اللغة لدى الطفل:

يبدأ الطفل باكتساب اللغة من خلال اتصاله بالبيئة الثقافية والمحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه بصورة عفوية والذي يقوم على التقليد والمحاكاة، ومن بين ما يعتمد عليه تطور لغة الطفل: مستوى النمو الجسمي والعقلي والانفعالي والنفسي، وهذا ما يساهم في عملية تعليم مفردات اللغة ونطق أصواتها بشكل سليم، ولما يصل إلى السن السادسة من عمره

يدخل إلى المدرسة ويتدرج في تعليم الحروف العربية وأصواتها اللغوية، وتكون الصورة الملونة السند في توضيح الحرف ومعنى الكلمة التي تربطهما بالصورة التعليمية الملونة، وهذا لن يتم إلا وفق الطرائق التالية:

❖ **الطرائق الصوتية في تعليم الحروف العربية ونجاعة الصورة الملونة:**

1) : **الطريقة التركيبية:** وفي هذه الطريقة ينطلق المعلم في تعليم الحروف العربية للأطفال وذلك بتوجيه انتباههم وأنظارهم وأذهانهم أولا إلى الحروف الهجائية، وأصوات هذه الحروف، ثم يتدرج بهم إلى نطق الكلمات، تتكون كل منها من حرفين أو أكثر، وبعدها ترسيخ الحرف المسموع والمنطوق بالصورة الملونة التي تجذب نتباه التلميذ، ولهذا سميت الطريقة التركيبية، لأنها تقصد أولا إلى الأجزاء ثم إلى تركيب هذه الأجزاء لتكوين الكل، وتسمى أيضا: الطريقة الجزئية[9]، ويندرج تحت هذه الطريقة:

أ. **الطريقة الأبجدية الحرفية أو الهجائية:** يستخدم المعلم في هذه الطريقة منهجية خاصة في تعليم أبجديات الحروف العربية، وتتم هذه الطريقة في "العودة لها في كتاب مبادئ القراءة مشيرا إليها حرفا حرفا وناطقا بأسمائها، والطلبة يرددون حتى يحفظونها، وهكذا تسير بقية المجموعات، وقد يستعين على الحفظ بالتلحين مثل: الألف لا شيء عليها، والباء نقطة من تحتها، فإذا حفظت أشكال الحروف وأسماؤها من قبل الطلبة، انتقل المعلم إلى تعليم أصواتها بالحركات الثلاث (بَ،بِ، بُ) ثم ينتقل إلى تعليم مقاطع تنتهي بحرف من حروف المد مثل: (بَا، بُو، بي)، ثم ينتقل المعلم بطلابه إلى قراءة الكلمات، ثم إلى قراءة الجمل، وبذلك يكون الجزء الأكبر من تعليم القراءة قد انتهى ولم يبق إلا التدريب والتمرين على قراءة قطع أكبر، وكان تعليم الكتابة يسير جنبا إلى جنب مع تعليم القراءة"[10]، وتبقى للصورة الملونة الدور الأسمى والأنفع، وذلك بتمثيل لهذه الحروف في شكل صورة تحمل دلالة معينة للمعنى المراد تعلمه، في شكل بهي يجلب انتباه التلميذ ويساعده على إثبات شكل الحرف في ذاكرته بمساعدة الصورة الملونة، وقد وضع في كتاب اللغة العربية للسنة الأولى لفظة: **اقرأ وأثبت** للدلالة على الوضعيات التي يتواجد بها الحرف، ونضرب في ذلك النموذج السابق الذي جمعت أشكاله في الجدول التالي[11]:

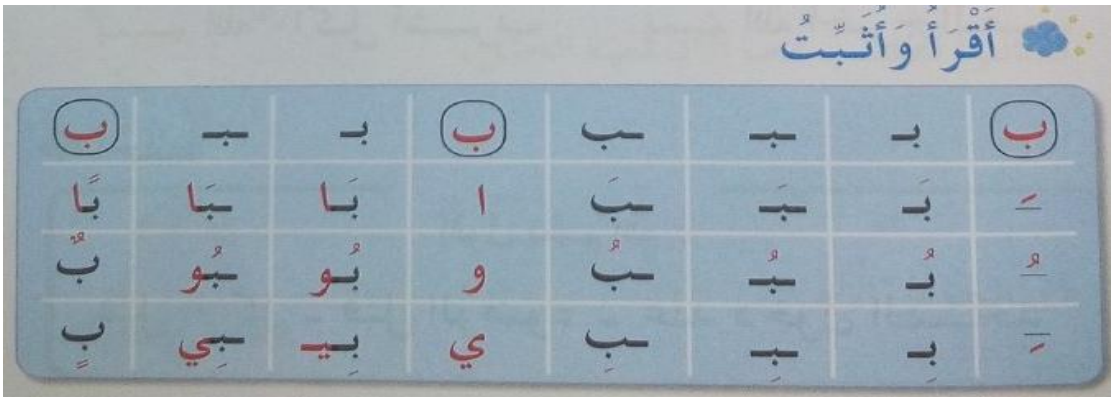

ب. الطريقة الصوتية: هذه الطريقة تلتقي مع الطريقة الأبجدية السابقة، لكنها تختلف عنها في خطوة من خطواتها، فهذه الطريقة تعتمد على الأسلوب الصوتي الذي يستعمله المعلم في تعليم أسماء الحروف، لأن هذه الطريقة تهدف إلى تعليم القراءة عن طريق تعريف حروف الكلمات والنطق بها، أي معرفة أشكال الحروف وأصواتها، أما أسماؤها فلا داعي لمعرفتها، لأن معرفتها قد تعيق المتعلم في أثناء تحليل الكلمة والنطق بها[12]، فمثلا إذا أراد المعلم من تعليم الطريقة الصوتية للحروف فإنه

يحتم عليه رسم الحرف المراد تعلميه في مختلف مواضع الكلمة، ثم يقحمه في موضع من مواضع الكلمة، ثم يجعله في جملة مفيدة، ونضرب لذلك بنموذج من المقرر، حرف **الباء**، وفي الصورة التالية[13]:

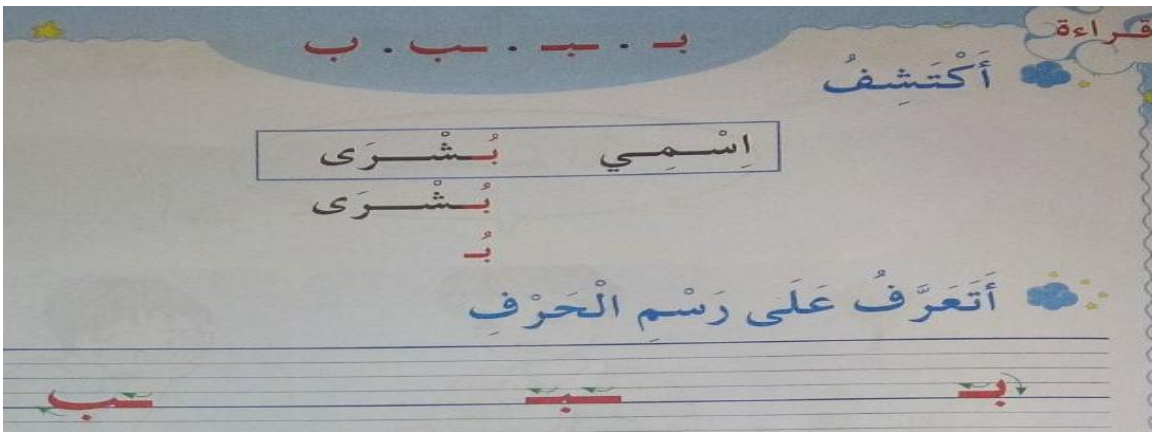

ومن المزايا التي تحققها هذه الطريقة عند التلميذ في المرحلة الابتدائية هي: معرفة شكل الحرف بالعين المجردة ونطقه صوتا وشفاهة بلسانه، ثم ينطق كل الأصوات التي تحتويها الكلمة الجديدة بما فيها الحرف المتعلم، وهذه الطريقة تساير طبيعة اللغة إلى حد كبير، لأنها تغلب عليها الناحية الصوتية، ولأن هجاءها موافق لنطقها بوجه عام[14]، وهنا تتحقق العملية التعليمية في ربط الصوت بالحرف المكتوب.

ت. طريقة التأمل في الصورة الملونة: إن الطريقة التعليمية السابقة لا تجدي نفعا وحدها في ظل غياب التعليم بالصورة الملونة، لأن هذه الأخيرة لها دور مهم وفعال في العملية التعليمية للأطفال، فهي تحتوي على ألوان تشد انتباههم وتجلب أنظارهم وتساعدهم على محاكاة الواقع المعيش وذلك بإسقاط اللفظة وحروفها على الصورة الدالة عليها، وبالتالي فالصورة الملونة "تشحذ الذاكرة البصرية عند التقاطها للحروف والكلمات، لأن المتعلم الذي يستطيع إعادة تصور أو تخيل الحرف يكون أكثر قابلية وقدرة على كتابة الحروف بالشكل المناسب، وفي هذا المنحي فقد أوصى كل من جونسون Jhonson ومايكل بست Meachel Best بمساعدة المتعلم على إعادة تخيل الحرف أو الكلمة، وذلك من خلال سحب الصورة من أمام المتعلم ومطالبته بإعادة رسم الحرف الموجود عليها"[15]، لأنهم رأوا النتيجة الايجابية التي تحققها الصورة في ترسيخ الحرف في الذاكرة للطفل، ومن الأمثلة العديدة التي جاءت في المقرر من الكتاب المدرسي: طريقة تعليم حرف **الباء**، وتم ذلك بإعطاء كلمات متعددة تحمل صورتها الملونة، ويختلف مواطن كتابة الحرف بحسب اللفظة ومعناها ودلالة صوتها، ونضرب لذلك بالصور الملونة التي تحمل هذا اللحرف في الشكل التالي[16]:

فالمزايا التي تحملها هذه الطريقة هي معرفة الحرف وطريق نطقه صوتا والتعريف بمواطن موضعه داخل الكلمة، إسقاط معنى الكلمة على الصورة الحقيقية التي تحملها، وكل هذا يساعد على ترسخ الحرف ويثبت معنى الكلمة، ويتحقق تسمية المسمى باسمه الحقيقي في ظل وجود الصورة الملونة، وهنا تتحقق العملية التعليمة بشكل سريع وبسيط دون جهد أو تكلف أو عناء.

2) : **الطريقة التحليلية:** وهذه الطريقة تسير عكس الطريقة التركيبية التي تعتمد على معرفة الحروف الأبجدية والصوتية، لأنها تعتمد بالبدء بالجملة ثم تفصيلها إلى كلمات،وبعدها تجسيدها في صور ملونة، "وأساس هذه الطريقة معرفة الطفل كثيرا من الأشياء وأسمائها، من قبل أن يدخل المدرسة، فتعرض عليه كلمات مما يسمعه ويستعمله في حياته، ثم يعلم الكلمات صورة وصوتا، ثم ينتقل تدريجيا بإرشاد المعلم إلى النظر في أجزائها، كي يمكنه معرفتها ثانية، ويقدر على تهجيتها عند مطالبته بكتابتها، ولهذا سميت الطريقة التحليلية، لأن الطفل يتعلم الكلمة مركبة ثم يحللها إلى أجزائها، وهي الحروف، وتسمى كذلك: **الطريقة الكلية**، لأنها تبدأ بتعليم الكل وهو الجملة أو الكلمة، وتنتقل إلى الجزء وهو الحرف"[17]، وما يندرج تحت هذه الطريقة وفق النماذج المقررة من الوزارة الوصية في طريقة: (**قراءة**)، والتي عمادها النظر في الجملة ثم النطق بها، ثم تفصيلها إلى كلمات وتجسيدها في صور ملونة تحاكي دلالاتها الحقيقية، وفق الطريقة المقررة في الكتاب تحت اسم:(**اكتشف الجملة**) و(**اكتشف الكلمات**)، ويمكن توضيح ذلك في التالي:

أ. **طريقة الجملة:** وهي الطريقة التي يوجه فيها الطفل إلى معرفة الجملة كاملة، ثم ينطقها شفاهة حتى تتبين له كل كلمة على حدة، وهنا يستطيع التمييز بين الكلمات وما تحمله من معاني، لأن الجملة تحمل صورة ملونة توضح المعنى العام لمحتواها،ومثل ذلك من الكتاب المقرر في النموذج التالي[18]

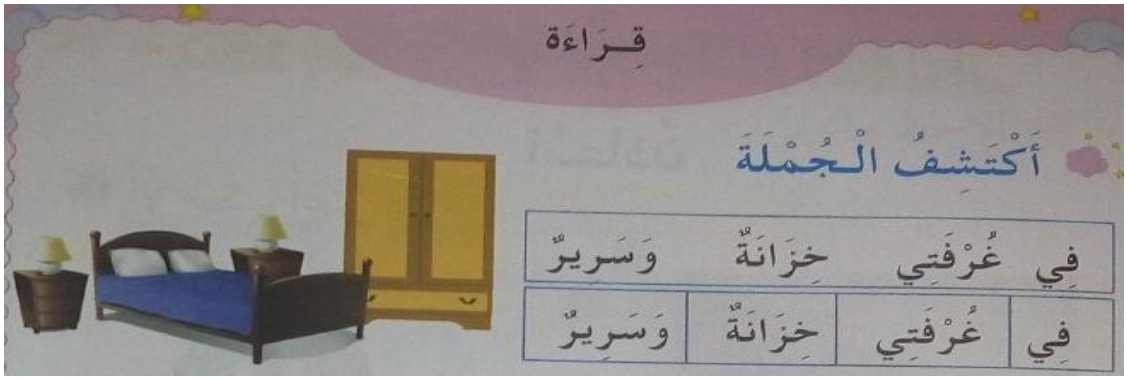

ومن مزايا طريقة التعليم بالجملة: أن الطفل يفهم معنى الكلمة دون تخمين، لأن الكلمات وردت في سياق الجملة وزودت بصورة ملونة تحاكي الجملة، زيادة على ذلك أن مفرداتها تزود ذاكرة التلميذ بثروة فكرية ولغوية تساعده على تنمية المهارات المختلفة، من (القراءة، الإملاء، الكتابة، التعبير)[19].

ب. **طريقة الكلمة:** وهي الطريقة التحليلية التي ينظر من خلالها الطفل إلى الكلمة التي ينطق بها المعلم بعناية ووضوح، ثم يشير إليها بصورة ملونة موجودة في الكتاب تحاكي الصورة الذهنية الموجودة في عقل التلميذ والمجسدة حقيقة في الواقع الاجتماعي المعاش، ومثل ذلك التفصيل في الجملة السابقة بمساعدة الصورة الملونة التي توضح دلالة الكلمات[20]:

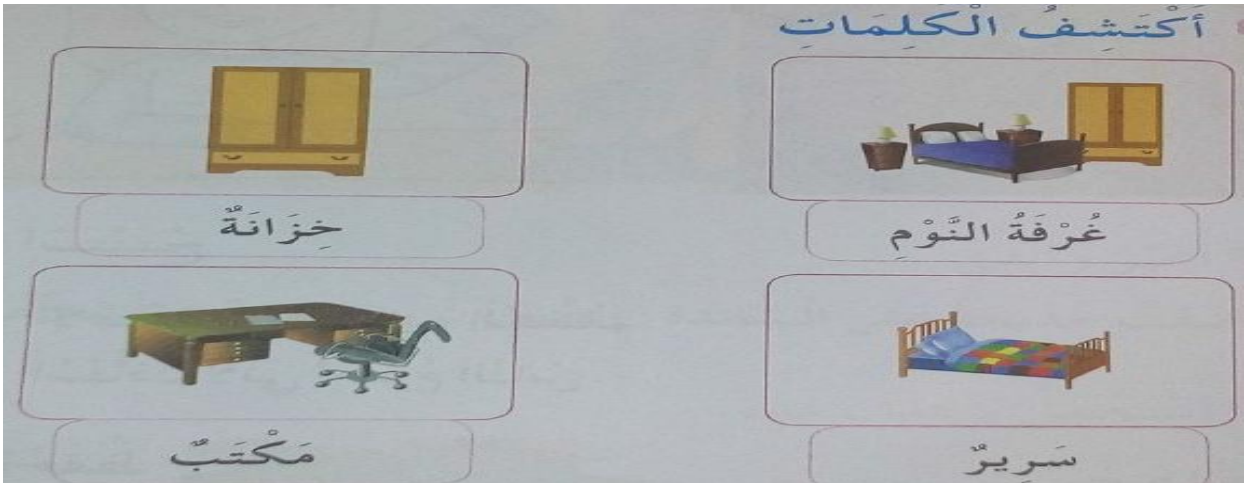

بهذه الطريقة العكسية للطريقة التركيبية في تعليم أصوات العربية نطقا وكتابة، يتضح لنا مدى نجاعة الصورة الملونة في ترسيخ الحرف العربي في ذهن التلميذ وعقله، وتثبيت ما تحمله الكلمة من دلالات موحية تجسدها الصورة حقيقة في شكل يحاكي الواقع الملموس لمجتمع التلميذ داخل محيطه وبيئته، وهذا ما يساعده على التعلم ويساهم في تحقيق العملية التعليمية.

ثالثا: أثر الصورة الملونة في تصويب تشابه الحروف وتداخلها:

ونقصد بذلك مدى الدور الفعال الذي تؤديه الصورة الملونة في تمكين التلميذ من التمييز بين أصوات الحروف المتشابهة في النطق، بحيث إن اللغة العربية تتضمن كثيرا من هذه الحروف المتشابهة في النطق، والتي تحتاج إلى مهارة معينة أثناء نطقها لتمييزها عن بقية الحروف التي تشترك معها في المخرج نفسه، وهذا الأمر لن يتأتى إلا بعد جهد من التدرب والمحاولة والمحاكاة الصحيحة لهذه الأصوات[21]، لأن "كلام الأطفال المكتوب يختلف عن كلامهم الشفهي، من حيث الأصل والتركيب وطبيعة الوظيفة، فإذا كان الكلام الشفهي وليد الاتصال المباشر فإن الكلام المكتوب يختلف في صفات عديدة منها: الاختلاف في الصوت، فالكلام الشفهي يرتبط بالاتصال المباشر، ويعتمد على التصويب والإيماءات بينما تفقد اللغة المكتوبة في كثير من الأحيان مع ما يتزامن معها من قرائن"[22]، ومن بين هذه الحروف المتشابهة في الأصوات، نذكرها في المجموعات التالية[23]:

- أصوات ما بين الأسنان: مثل: الثاء والذال والظاء.
- أصوات أسنانية ـ لثوية: التاء والدال والضاد والطاء.
- أصوات لثوية: مثل: الزاي والسين والصاد
- أصوات لثوية، حنكية: الجيم والشين.
- أصوات أقصى الحنك: الخاء والعين
- أصوات حلقية: العين والحاء.
- أصوات حنجرية: الهمزة والهاء والقاف كصوت لهوي، مع الكاف كصوت أقصى الحنك.

ونظرا لوجود هذا التشابه فقد جاء في الكتاب المدرسي المقرر على هذه الشريحة من الأطفال صفحة واحدة فقط خاصة بمراجعة الحروف وطريقة التمييز فيما بينها في التشابه النطقي، بعنوان: (**أميز بين الحروف المتشابهة في النطق**)، وهذا لدليل على الإهمال الذي بلغ المستوى الصوتي في المناهج الدراسية المقررة في الكتاب التعليمي للمرحلة الأولى من التعليم، ونضرب لذلك بذكر العديد من الحروف المتشابهة في النطق، حسبما جاء في الكتاب المقرر[24]، التي نحددها في الجدول التالي:

الحروف المتشابهة	المثال	الحروف المتشابهة	المثال
ت_ط	تاب_طاب رتب_رطب	**ث_ف**	ثار_فار رث_رف ثلة_فلة
ت_ث	ثاب_تاب تمرة_ثمرة تم_ثم	**ذ_ظ**	ذليل_ظليل ذيل_ظل
س_ص	سار_صار سورة_صورة سبح_صبح	**د_ذ**	دال_ذال داع_ذاع دليل_ذليل

هذا التوضيح الذي جاء به الكتاب المقرر في الصفحة الأخيرة دون التفصيل فيه داخل الكتاب، لدليل على وجود التشابه الكبير على مستوى طريقة الرسم بين الحرفين داخل الكلمة، مثل:**[د_ذ][ت_ث]**، أو التشابه على مستوى نطق الحروف و والاختلاف على مستوى النظام اللغوي، وبالأخص المستوى الدلالي، لأن هذا الانحراف يسبب خللا في معاني الكلمات نتيجة تشابه في نطقها صوتا، ومن مثل هذه الحروف: **[ت_ط]**، **[ذ_ظ]**،**[س_ص]**...وغيرها، لذا يجب على القائمين على المنظومة التربوية إيجاد الحل العاجل لحل هذه القضية بالوسائل التقنية الحديثة، حتى يتسنى للمعلمين بالحد من هذه المشكلة التي تعد عائقا في تحقيق العملية التعليمية، وذلك بإدراج الصورة الملونة وما تحمله من حروف عربية متشابهة نطقا وصوتا وكتابة داخل الكلمة الموضحة للصورة في الأجهزة التكنولوجية بغية ترسيخها في ذهن التلميذ بدون جهد أو عناء ربحا للوقت ومتلازما مع تكنولوجيا العصر.

رابعا: أثر الصورة الملونة في تصحيح أصوات اللهجة المحلية:

معلوم أن التلميذ يتعلم اللغة وأصواتها من المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه، بداية من المراحل الأولى من نطقه للكلمات،"فأول ما يحاول الطفل اكتسابه من العمليات الكلامية هو النطق بما تدركه أذنه من الأصوات اللغوية"[25]، والمجتمع الجزائري كغيره من مجتمعات البلدان العربية يتكلم أفراده بلهجات محلية وألفاظ أجنبية معربة، ثم يدخل بها أولاده إلى المدرسة وبمختلف العادات اللغوية المكتسبة، وهنا تؤثر هذه اللهجات على رصيدهم المعرفي وتوقعهم في مأزق تداخل الحروف واختلاف أصوات نطقها بين العربية الفصحى ولهجة المجتمع والبيت.

ومن هنا فإن اللهجة العامية وجدت مكانا مميزا على لسان الأطفال في هذه المراحل العمرية، وأصبحت بها تتم العملية التواصلية المهمة بين الأفراد داخل المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه الطفل، سواء أكان من بيئه يتكلم العربية أو الأمازيغية أو التارقية أو الشلحية أو غيرها من اللهجات المحلية، وكلها لهجات تعلمها الطفل شفاهة وسماعا بعفوية وتلقائية حتمتها متطلبات الحياة وظروفها الاجتماعية.

ولكن السؤال الذي يطرح: إذا كانت المجتمعات الجزائرية تتكلم بمختلف اللهجات المحلية وتقحم في وسطها ألفاظ فصيحة، فما مدى انعكاساتها على تلاميذ المرحلة الابتدائية؟ وهل الصورة الملونة لها دور فعّال في فك لغز الصوت الدخيل عن العربي الأصيل؟

يعتقد الكثير من الأطفال لأول وهلة من دخولهم للمدارس على أنهم على صواب في نطق بعض الحروف التي عهدوها في مجتمعاتهم وتأقلمهم معها في الشوارع والبيوت، غير أن الشيء الملاحظ أن الدرس والحروف التي يلقيها المعلم على هؤلاء التلاميذ تختلف في النطق عما عهدوه في بيئتهم المحلية ولهجتهم العامية.

1. **مفهوم اللهجة المحلية:** هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، ومعنى الصفات اللغوية: هي صفات متعلقة بأعضاء النطق الدقيق من مخارج الحروف والتفاعل الموجود بين الأصوات المتجاورة أثناء تأثرها فيما بينها[26].

وإن هذه الجزئية من الدراسة ستقف عند هذه القضية، وذلك باتباع طريقة العمل الميداني في توضيح الأخطاء التي يقع فيها معظم الأطفال في نطق الحروف مع ما يتوافق في لهجاتهم العامية، وذلك بأخذ عينة من التلاميذ في الطور الأول الابتدائي، ونسجل الملاحظات العامة على إنتاج نطقهم للحروف عندهم، ثم دعمهم بالصورة الملونة التي تحمل الحرف العربي وبها كلمة تحمل الحرف المنطوق مع صورة توضيحية لدلالة الكلمة، ثم تأتي طريقة نطق الحرف بشكل سليم مع الكلمة وذلك بإسقاط نظر الطفل على الصورة الملونة حتى يترسخ الحرف في ذهنه ويحفظ طريقة نطقه بشكل صحيح، ثم إعطائه أمثلة أخرى تتوافق في نطق الحرف في مختلف مواطنه داخل الكلمة.

وقد جاء تحليل هذه القضية اللغوية عند هؤلاء التلاميذ من خلال ظاهرة الإبدال التي كثرت في نطقهم لأصوات الحروف العربية:

2. **تعريف الإبدال:** لقد أولى العرب القدامى اهتماما بالغا بظاهرة الإبدال في اللغة العربية، واستعملوا للتعبير عنها بمصطلحين: الإبدال والقلب، وقد تناوله سيبويه(ت180هـ) في العديد من مواضع كتابه[27]، وهو عنده يعني:"إبدال حرف بآخر من حروف البدل، وهي عشرة: الهمزة والألف والحاء والياء والواو والتاء والدال والميم والنون والجيم"[28]، أما ابن جني(ت392هـ) فيضيف إليه حرفا آخر لحروف البدل، وهو حرف: الطاء، لتصير حروف البدل عنده أحد عشر حرفا، وهو كذلك اهتم بهذه الظاهرة عندما درس التغيرات الصوتية في الحروف العربية دون أن يفرق بين الإبدال والقلب[29].

ويختصر المرحوم عبد الرحمن الحاج صالح معنى الإبدال بقوله:"المقصود من الإبدال هنا تعاقب الحروف أو الحركات في اللفظ الواحد مع بقاء المعنى، وذلك يحصل بسبب تنوع الاستعمال بين جماعة وأخرى، وهو في هذا الحال أي:

إذا اختص به إقليم معين إبدال لهجي، وقد يكون غير لهجي أيضا إذا كان التنوع منتشرا في جماعات تنتمي إلى أكثر الأقاليم"[30].

3. **منهجية العمل الميداني في نطق الحروف:** بعد زيارتنا الميدانية والمتكررة للمدرسة الابتدائية التي اخترنا منها قسم السنة الأولى ابتدائي الذي يحتوي على 30 تلميذ وامتحانهم في 80 كلمة عربية فصيحة تحمل صورة ملونة دالة على معناها، كنموذج تطبيقي للكشف عن دور الصورة الملونة في تصحيح طريقة نطق التلاميذ للحروف الهجائية وتوضيح مدى تداخل أصواتها واختلاف نطقها ودلالاتها، لذا جاءت هذه الدراسة لتسجل العديد من النتائج التي أخلت بالنطق السليم للحرف العربي المنطوق، وقد بينا ذلك في ضوء المنهج الوصفي التحليلي، الذي يعتمد على وصف طبيعة الحالة ثم تحليلها وفق المعطيات العلمية، ثم وقفنا بعدها على الأخطاء الشائعة التي يقع فيها معظم التلاميذ في هذه المرحلة الأولى من التعليم في نطق أصوات هذه الحروف، وذلك باعتمادنا على نماذج من الكتاب المقرر عليهم _كتابي في اللغة العربية_ باعتباره النموذج الحي والمبرمج عليهم بهدف تحقيق العملية التعليمة، وكانت الصورة الملونة الحل الأنجع والفعال في شد انتباه الأطفال للحرف المنطوق ثم تمثيله بالصورة الملونة الموجودة في الكتاب المقرر حتى يحفظونه ويبقى في ذاكرتهم بصحبة الصورة البصرية التي شاهدوها بالعين المجردة.

وبعد الحصول على النتائج الميدانية التي أجريناها مع التلاميذ في قسمهم المدرسي، اعتمدنا في التحليل على الخطوات التالية:

- بعد تحديد الحرف المتشابه في النطق مع غيره، تم الاستماع لكل التلاميذ وتسجيل الأخطاء في نطق الأصوات المتعددة لهذا الحرف المنطوق القسم.
- تصنيف الأخطاء للحرف المنطوق وفق عملية الإبدال التي تمت حول هذا الحرف.
- تحديد النسب المئوية للكلمات المنطوقة خطأ.
- تصحيح الحرف المنطوق صوتا وشفاهة ثم إعادة كتابته، وذلك بالاعتماد على الصورة الملونة في الكتاب المقرر عليهم، من خلال تدقيق النظر في الصورة ثم نطق الحرف بشكل سليم حتى تتم عملية الحفظ والرسم الكتابي للحرف المنطوق.

أ. **نتائج الدراسة الإحصائية:** بلغت النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة الميدانية التي قمنا بها في امتحان 30 تلميذ في قسمهم لنطق أصوات 80 كلمة عربية فصيحة، والتي تحمل في ثناياها الحروف الممتحن فيها مزودة بصور ملونة، للكشف عن الأخطاء الصوتية الشائعة في نطق أصوات هذه الحروف، وقد بلغت نسبة: 66 % من مجموع عدد الكلمات المنطوقة بالعامية أي: 53 كلمة نطقت بالعامية، ونسبة: 34% من مجموع عدد الكلمات المنطوقة بالعربية الفصحى، أي:27 كلمة نطقت بالعربية الفصحى، وبلغت نسبة إجابة التلاميذ بالعامية أو اللهجة المحلية:63%، وبالعربية الفصحى 37%، أي أن: من مجموع 30 تلاميذ قد نطق منهم 19 باللهجة العامية، و11 تلميذ نطق بالعربية الفصحى.

وبهذه النسبة العالية في نطلق التلاميذ لأصوات الحروف العربية الفصحى باللهجة العامية، لدليل على تأثرهم بالبيئة المحيطة بهم وبثقافة الشارع والمجتمع، وكل ما تحاكيه العادات اللغوية من ألفاظ عامية انعكست أصواتها على ذاكرة

التلميذ وسقلت لسانه بحروف أبدلت طوعا وبعفوية تامة مع اللهجة المحلية، والمخطط البياني التالي يوضح نسبة هذا التأثر فيما يلي:

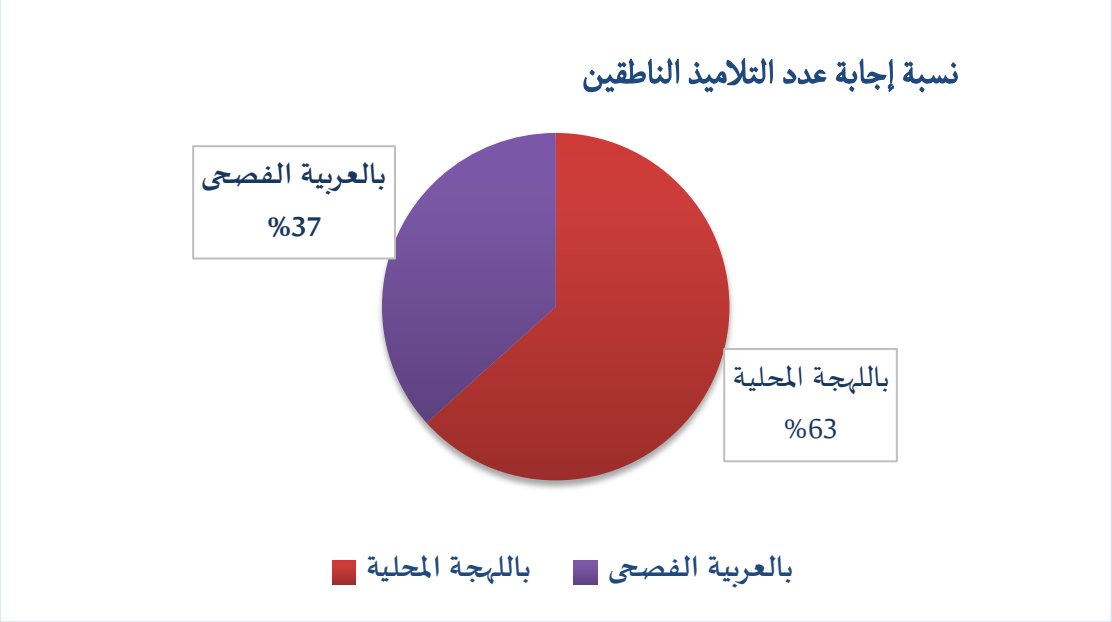

أي أن معدل الكلمات المنطوقة صوتيا بالحروف العربية جاء على الشكل التالي:

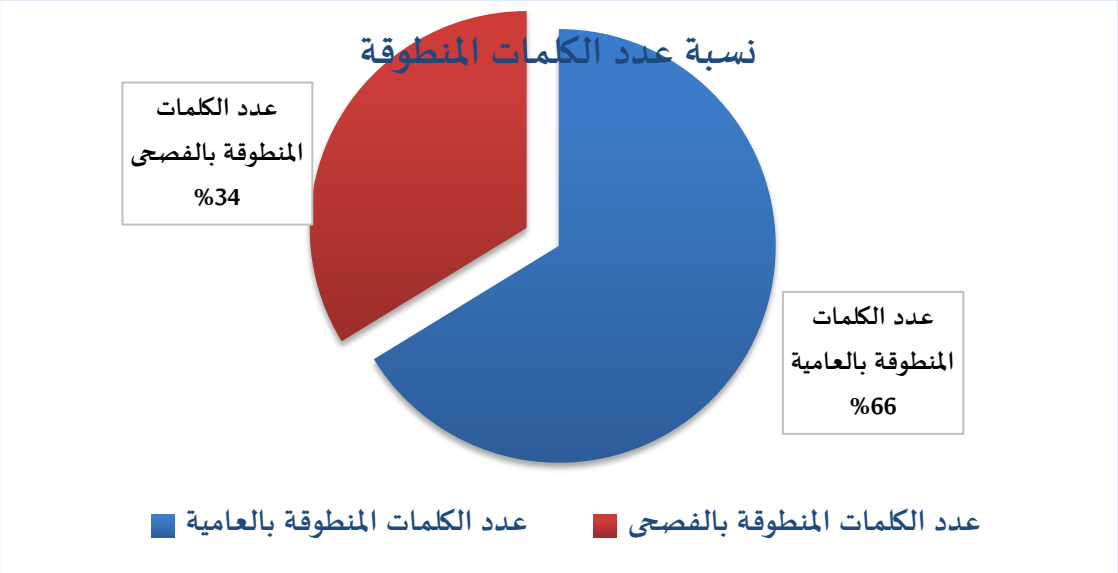

ب. نتائج الدراسة التحليلية لحصيلة الانحرافات الصوتية: تعددت الأخطاء لدى التلاميذ في نطق الأصوات اللغوية داخل الكلمات بشكل سليم يتوافق مع ألفاظ الصورة الملونة التي ترافق الحرف العربي الفصيح، نتيجة التأثر البالغ باللهجة المحلية وبمفردات البيئة التي ينتمي إليها التلميذ، وقد اخترنا نماذج من الانحرافات التي وقع فيها التلميذ خلال الاختبار الشفهي في نطق الحرف، وكانت الصورة الملونة الوسيلة التعليمية الناجعة في رد الاعتبار للحرف المنطوق حتى يتم حفظه وترسيخه في الذاكرة، وهنا تتحقق العملية التعليمية لدى التلميذ، نذكر منها في الجدول التالي[31]:

الحرف العربي	الحرف داخل الكلمة	الاختبار الشفهي للحرف المنطوق	انحراف الحرف المنطوق	مستوى إبدال الحرف	الصفحة من الكتاب المقرر
الألف	أنا	ينا	الياء	الألف_الياء	ص09
الهمزة	مائدة عائلة الجزائر	مايدة عايلة الجزاير	الياء	الهمزة_الياء	ص22 ص24 ص77
الهمزة	الماء/العشاء	لما/ العشا	الهاء	الهمزة_الهاء	ص127/102
الألف	أحمر/أخضر	لحمر/لخضر	اللام	الألف_اللام	ص135/89
الألف	أذان	عذان	العين	الألف_العين	ص79
ش	الشجرة الشمس	السجرة السمش	السين	ش_س القلب المكاني	ص55 ص109
ق	مقص/قط	مڤص/ڤط	القاف المصرية	ق_ڤ المصري	ص135/75
ق	قال	آل	الألف	ق_الألف	ص125
ذ	هذا	هدا	الدال	ذ_د	ص21
الميم	طماطم	طماطش	الشين	م_ش	ص114
الواو	طاولة	طابلة	الباء	و_ب	ص70

من خلال هذا الجدول التوضيحي للانحرافات الصوتية الموجودة على لسان تلاميذ الطور الأول الابتدائي، يتضح لنا الأخطاء الصوتية الشائعة التي يرتكبها التلاميذ في القسم نتيجة تأثرهم باللهجة العامية والتي بلغت بنسب عالية فاقت النصف من مجموع المفردات الممتحن فيها، وقد حظي إبدال حرف الألف والهمزة النسب الأعلى في إبدال الحروف، لأنه ازدوج مع العديد من الحروف، منها: [أ_ع]،[أ_ل]،[أ_ي]،[ء_ه]،[ء_ي]...، ثم تأتي الحروف المزدوجة الأخرى، مثل: [ذ_د]،[ش_س]،[ق_ڤ المصرية]،[م_ش]،[و_ب]...وغيرها من النماذج، وهذا راجع لأسباب عديدة، نذكر منها:

_انتشار العامية في الوسط المدرسي، وما صاحبها من انحرافات في نطق أصوات الحروف وإبدالها مع غيرها بفعل التأثر بالبيئة المحيطة بالتلميذ.

_ تأثر التلميذ بخطاب المعلم في نطق الحروف الذي يتكلم باللهجة العامية.

_إهمال المناهج التعليمية للجانب الصوتي في تصحيح نطق التلاميذ للحروف المتشابهة في الرسم الكتابي والنطق الصوتي.

_ غياب توعية الأسرة في تعليم الأطفال في هذه المرحلة العمرية لنطق أصوات هذه الحروف.

وفي خاتمة هذا البحث نقول: ليس من العجب أن نجد التلميذ في المرحلة الأولى من تعليمه متأثرا بثقافة البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها في نطق أصوات الحروف، لأن المجتمع هو الخلية الأولى التي ينشأ فيها الطفل ويتعلم فيها، ويستخلص منها ثقافته وعاداته وميوله، ثم تأتي المدرسة لتكمل دور الأسرة بترسيخ المعلومة وتثبيتها، لذا حاولت هذه الدراسة تشخيص الأخطاء اللغوية في المستوى الصوتي بالعمل الميداني، وتوضيح مدى الدور الفعال الذي تؤديه الصورة الملونة في تعليم النطق السليم لمخارج الأصوات العربية، وذلك بإبراز مختلف الطرائق الصوتية في تعليم الحروف المبرمجة وفق المناهج التعليمية المقررة في الكتاب المدرسي للغة العربية للسنة الأولى ابتدائي، وتسجيل مدى نجاعتها في تصويب تشابه الحروف وتداخلها، والأثر الإيجابي الذي تتركه في تصحيح أصوات اللهجة المحلية.

وفي ضوء الدراسة الميدانية والنتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث، نقترح جملة من الحلول لتجاوز هذه العقبة _إشكالية النطق السليم للأصوات العربية_ التي تشكل حاجزا في العملية التعليمية للأطفال في المراحل الابتدائية:

_التركيز على النظام الصوتي والنطق السليم للحروف العربية في المراحل الأولى من الابتدائية.

_إدراج مادة الصوتيات العربية ضمن برامج تكوين معلمي المراحل الابتدائية الجدد، وبالنسبة للقدامى في الميدان: يجب تنظيم لهم دورات تكوينية لهم لتمكينهم من المعارف النظرية والتطبيقية الخاصة بالصوتيات العربية.

_توفير الوسائل التقنية الحديثة التي تعالج التحولات الصوتية التي تصيب مدرج الكلام عند التلاميذ داخل الأقسام المدرسية.

_تعليم التلميذ على المشافهة الصوتية حتى يتم اكتشاف الخطأ اللساني في مخارج الحروف من خلال النطق الصوتي للحرف بشكل سليم، وإذا وجد طفل يعاني من مرض ما في الكلام يوجه إلى المصالح الخاصة بمعالجة أمراض الكلام.

_ الاهتمام بالأداء الصوتي وإقحامه في المناهج الدراسة المقررة على التلميذ، حتى يتعلم الظواهر الصوتية من إبدال وقلب وإدغام ووقف...

_إعطاء العناية التامة بالجانب الشفهي والصوتي في تعليم الحروف ونطق أصواتها للأطفال في مراحلهم الأولى، لأن هذا يكسبهم ثروة لغوية وتصويب آني للحرف المنطوق.

_الحرص التام على الاهتمام بالنطق الفصيح داخل المدرسة والقسم، والابتعاد عن العامية، حتى يتعود التلميذ على نطق الحروف والكلمات بالفصاحة التامة.

_ تدريب التلاميذ على استعمال الصورة الملونة في التعبير الشفهي، للكشف عن الأخطاء المنطوقة لصوت الحرف العربي، وتصحيحه في حينه بالصوت والصورة. _ تزويد المعلمين بالوسائل التعليمية الحديثة من الأجهزة التقنية والالكترونية للحد والقضاء على هذه الظاهرة اللسانية.

هوامش الدراسة:

[1] سورة النحل، الآية78.

[2] ينظر، عبد الرحمن العيسوي، موسوعة علم النفس الحديث، دار الراتب الجامعية، بيروت لبنان، 2001، مج2، ص98.

[3] ينظر، بشير عبد الرحيم الكلوب، التكنولوجيا في عملية التعلم والتعليم، دار الشروق، عمان الأردن، ط2، 1993م، ص83.

[4] خيري خليل الجميلي، الاتصال ووسائله في المجتمع الحديث، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية مصر، 1999م، ص53.

[5] شاكر عبد الحميد، عصر الصور الايجابيات والسلبيات، منشورات عالم المعرفة، الكويت، 2005م، ص12.

[6] حميد سلاسي، ماهي الصورة، مجلة علامات، ع5، 1996م، ص26.

[7] أوسفالدو رناتو مبيراري، الرسم عند الأطفال، ترجمة عبد الفتاح حسن، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ط1، 1997م، ص93.

[8] بشير عبد الرحيم الكلوب وسعود سعادة الجلاد، الوسائل التعليمية اعدادها وطرق استعمالها، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1966، ص27.

[9] ينظر، أحمد إبراهيم صومان، أساليب تدريس اللغة العربية، دار زهران للنشر، عمان الأردن، ط1، 2010م، ص94.

[10] أحمد إبراهيم صومان، أساليب تدريس اللغة العربية، دار زهران للنشر، عمان الأردن، ط1، 2010م، ص95.

[11] وزارة التربية، كتابي في اللغة العربية التربية الاسلامية والتربية المدنية السنة الأولى ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، ط1، 2017/2016، ص31.

[12] أحمد إبراهيم صومان، أساليب تدريس اللغة العربية، دار زهران للنشر، عمان الأردن، ط1، 2010م، ص97.

[13] وزارة التربية، كتابي في اللغة العربية التربية الاسلامية والتربية المدنية السنة الأولى ابتدائي، ص31.

[14] ينظر، عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي العربية، دار المعارف، القاهرة مصر، ط14، دت، ص81.80.

[15] حجاج عبد الفتاح ، فاعلية الوسائل التعليمية في تنمية الحصيلة اللغوية عند الطفل المرحلة الابتدائية أنموذجا، رسالة دكتوراه، جامعة وهران1، 2013/2012م، ص139.

[16] وزارة التربية، كتابي في اللغة العربية التربية الاسلامية والتربية المدنية السنة الأولى ابتدائي، ص31.

[17] أحمد إبراهيم صومان، أساليب تدريس اللغة العربية، دار زهران للنشر، عمان الأردن، ط1، 2010م، ص102.

[18] وزارة التربية، كتابي في اللغة العربية التربية الاسلامية والتربية المدنية السنة الأولى ابتدائي، ص19.

[19] ينظر، حنين فريد فاخوري، سيكولوجيا أدب وتربية الأطفال، دار اليازوري، ص82.

[20] وزارة التربية، كتابي في اللغة العربية التربية الاسلامية والتربية المدنية السنة الأولى ابتدائي، ص19.

[21] ينظر، جمال مصطفى العيسوي، دليل التميز في تدريس مهارات الاستماع والتحدث، ص63.

[22] خالد محمد الزواوي، الجودة الشاملة في التعليم وأسواق العمل في الوطن العربي، منشورات مجموعة النيل العربية، القاهرة مصر، دط، دت، ص86.

[23] ينظر، جمال مصطفى العيسوي، دليل التميز في تدريس مهارات الاستماع والتحدث، ص63.

[24] وزارة التربية، كتابي في اللغة العربية التربية الاسلامية والتربية المدنية السنة الأولى ابتدائي، ص134.

[25] عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، الجزائر، العدد4، 1974.

[26] ينظر، محمد أسعد النادري،فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، صيدا بيروت لبنان، ط1، 2005م، ص153_154.

[27] ينظر، سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط3، 1983م، ج4، ص357و371و387و427.

[28] ينظر، المصدر نفسه، ج4، ص237.

[29] ينظر، ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق سوريا، 1993م، ج1، ص281.

[30] عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007م، ص233.

[31] لقد تم اختيار كلمات الحرف العربي المنطوق من كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي المقرر عليهم.